

أثر الدين في الوقاية من الجريمة

✍ / مقداد علي
باحث في علم الاجتماع

مقدمة:

ظاهرة الجريمة كانت منتشرة في جميع العصور، وبين أغلب الأوساط والطبقات الاجتماعية، منذ أن خلق الله الإنسان. وكانت للشرائع مواقف واضحة من رفض الجريمة، هذه الشرائع سواء كانت سماوية أم وضعية.

والشريعة الإسلامية لا تختلف عن سائر الشرائع في موقفها من رفض الجريمة، رفض الرذيلة والمنكر والفساد. والمتبع للشرائع السماوية وعلى الرغم مما بينها من اختلافات، يرى أن جميعها وقف ضد الجريمة وسعى إلى الوقاية منها، فهذا سيدنا هود ينهى قومه عن الإجرام فيقول: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا مَجْرِمِينَ﴾⁽¹⁾ ويندد بطغيانهم وتجبرهم واعتدائهم على الأفراد والجماعات: ﴿وَإِذَا بَطِشْتُمْ بَطِشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾⁽²⁾، وهذا سيدنا صالح ينهى قومه عن الفساد والإفساد فيقول: ﴿وَلَا تَعْتَوُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾⁽³⁾، وهذا لوط يسخر كل وقته وحياته في التشنيع بالفاحشة التي انحرف قومه باقترافها عما تستوجبه الفطرة، ويشهر بها في كل مناسبة حتى كأن الدين لم يكن سوى الدعوة إلى الكف عنها ويعتبرها إسرافاً وعدواناً وجهالة⁽⁴⁾، قال الله تعالى على لسانه: ﴿أَتَأْتُونَ الْفَحْشَاءَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾^(٥) إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ الْإِنْسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ⁽⁵⁾

وقد جاء في التوراة الدعوة إلى بعض الواجبات والالتزام بها والنهي عن بعض المحرمات والجرائم، ومن ذلك الوصايا التالية: "أكرم أباك وأمك كما أمرك الرب إلهك، لكي تطول

(1) هود: 52.

(2) الشعراء: 130.

(3) الأعراف: 74.

(4) التومي، د. محمد: **المجتمع الإنساني في القرآن الكريم**، ط1، الدار التونسية للنشر، تونس، 1986 م، ص: 87.

(5) الأعراف: 80 - 81.

أيامك، وتصب خيرا في الأرض التي يعطيك الرب إلهك، لا تقتل، لا تزني، لا تسرق، لا تشهد على صاحبك شهادة زور، لا تشته زوجة صاحبك، ولا تشته بيته، ولا حقله، ولا عبده، ولا أمته، ولا ثوره ولا حماره، ولا شيئا مما لصاحبك" ⁽¹⁾.

وجاء في النهي عن الزنا والقتل والرشوة ما يلي: "ملعون من يضاجع زوجة أبيه... ملعون من يضاجع بهيمة... ملعون من يضاجع أخته ابنة أبيه وابنة أمه... ملعون من يضاجع حماته... ملعون من يقتل صاحبه في الخفاء... ملعون من يأخذ رشوة ليقتل نفسا بريئة" ⁽²⁾. كما ورد في النهي عن الخمر: "لا تكن ذا بأس تجاه الخمر، فإن الخمر أهلكت كثيرين" ⁽³⁾.

وجاء في الإنجيل كثير من النصوص التي تتوخى استقامة الخلق وإصلاح النفس، والتي دعا إليها عيسى عليه السلام، ومن ذلك ما يلي:

ما ورد في النهي عن بعض الجرائم كالقتل والزنى والسرقة، والدعوة إلى أداء بعض الواجبات: "لا تقتل، لا تزني، لا تسرق، لا تشهد الزور، أكرم أباك وأمك، وأحب قريبك كنفسك" ⁽⁴⁾. وفي رسالة بولس ورد ما يلي: "أما تعلمون أن الأئمة لا يرثون ملكوت الله، لا تضلوا فإنه لا الزنا ولا عباد الأوثان، ولا الفساق، ولا المفسدون ولا مضاجعو الذكران، ولا السارقون ولا البخلاء، ولا السكيريون، ولا الشتامون، ولا الخطفة يرثون ملكوت الله" ⁽⁵⁾. وجاءت الدعوة إلى العفة والنزاهة عن الفواحش: "إن كل من نظر إلى امرأة لكي يشتهيها فقد زنى بها في قلبه، فإن شككتك يدك اليمنى فاقطعها وألقها عنك، فإنه خير لك أن يهلك أحد أعضائك ولا تلقى جسدك كله في جهنم" ⁽⁶⁾. وجاء في الدعوة إلى حسن المعاملة: "أحبوا أعداءكم وأحسنوا إلى من يبغضكم" ⁽⁷⁾.

⁽¹⁾ سفر التثنية، الإصحاح: 05، ع: 16 - 21.

⁽²⁾ سفر التثنية، الإصحاح: 24، ع: 25.

⁽³⁾ سفر يشوع، الإصحاح: 31، ع: 30.

⁽⁴⁾ إنجيل مرقس، الإصحاح: 10، ع: 19.

⁽⁵⁾ رسالة بولس، الإصحاح: 10، ع: 14 - 15.

⁽⁶⁾ رسالة بولس، الإصحاح: 10، ع: 14 - 15.

⁽⁷⁾ إنجيل متا، الإصحاح: 13، ع: 05.

إذا كانت ظاهرة الجريمة تضرب بجذورها في أعماق التاريخ البشري فإنها اليوم لا تقل عنها خطورة، ذلك لأن تطورها المذهل في الوقت الحالي يهدد كيان الأفراد والمجتمعات، وهو أمر لم تألفه الإنسانية من قبل. إن تزايد الإجرام واستفحاله أصبح يفرض على المجتمع الوقوف في صف واحد وبكل حزم وعزم أمام هذا الخطر ومواجهته بكل الوسائل والإمكانات المتاحة باعتباره من أخطر الظواهر المهددة للإنسانية جمعاء.

نعم إن العالم أصبح يعاني حقا من الجريمة، وزاد من هذه المعاناة تطورها المذهل، كما ونوعا، فالتغيرات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية في المجتمع الدولي، أفرزت أنماطا جديدة وعديدة من العمليات الإجرامية تقوم بتنفيذها عصابات محترفة لها شبكة اتصالات جد متطورة، ولها ما يمكنها من توسيع نشاطها الإجرامي واختراق الحدود الدولية بكل سهولة.

إن الهدف من مكافحة الجريمة هو درء الخطر الذي يهدد أمن الأشخاص والأنفس والأعراض والأموال والممتلكات في المجتمع، وتخليصهم منه، ومن ثم فإن الخطوة الأولى التي يتعين على المجتمع أن يقوم بها هي رفضه لهذه الظاهرة، واتفاق جميع أعضائه، أفرادا ومؤسسات، على إيجاد صيغ لفهمها وضبطها ثم القضاء عليها.

تظهر أهمية مكافحة ظاهرة الجريمة في الحد من الجريمة والوقاية منها، وتوفير جو الأمن والأمان للأفراد وتحقيق السعادة والخير للبشر جميعا، بغض النظر عن مركز الفرد أو دينه أو أصله أو لونه، والوصول بالمجتمع البشري إلى مجتمع خال من الغش والخداع، تحفظ فيه للجماعة حقوقها وأغراضها، في ظل نظام عادل، تقبله النفوس وتفهمه العقول مرتكزا على مبادئ وأخلاق إنسانية مثلى.

كما تظهر أهمية مكافحة الجريمة في تخليص المجتمع البشري من الشرور والآفات التي يتخبط فيها، وتضييق دوائر الحصار على المجرمين بمختلف فئاتهم وأصنافهم، كالمهربين والمزورين والإرهابيين وكل العابثين بأمن واستقرار المجتمع البشري. ويقتضي ذلك الاهتمام الجاد لخدمة عوامل الوقاية والعلاج، باتباع خطط جد محكمة، تعتمد معرفة كلية بالظاهرة الإجرامية وطرق انتشارها، وكيفية تغلغلها، للتقزيم من شأنها والسيطرة عليها ومن ثم القضاء عليها.

إن المجرمين ببيعهم لمواد خطيرة، وهي المخدرات، تفرض على المستهلكين الإدمان، لا يخرجون عن صفة القتل وقطاع الطرق، فهم يقتلون النفوس البريئة ويفسدون الصحة العامة للمجتمع ويذهبون بعقول الأبرياء وأموالهم وحتى دينهم وحياتهم.

إن مكافحة الجريمة بالنسبة للأمة الإسلامية واجب شرعي يقع على عاتق كل أفراد المجتمع، خاصة أولياء الأمر، ورؤساء البلدان والحكومات، ذلك لأن المجرمين يحاربون القيم السامية للإنسانية، والأعراف والقوانين السائدة في المجتمع، فهم في حقيقة الأمر يحاربون الله ورسوله لسعيهم في الأرض فساداً، وهو عمل يدعو إلى محاربتهم وزجرهم إحقاقاً لحق الله تعالى وحق العباد، وقد ورد ذكرهم في القرآن الكريم، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِّنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ جِزَاءٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ١٧١ ﴾^(١).

إن الإسلام دعوة سامية للأمن النفسي والاجتماعي والاقتصادي والسياسي والعسكري، لذا يحرص على مكافحة الجريمة والجنوح والانحراف والعنف عن طريق الدعوة والتوعية والتربية والتوجيه لسلوك الأفراد، وذلك حتى تستقيم الحياة داخل المجتمع ويعم الأمن، ومنهج الإسلام في هذا يقوم ويمتاز بالشمول والتنوع والاقتناع.

ويمتاز العلاج في الدين الإسلامي بعمق اهتمامه بالجانب الروحي والأخلاقي والعقائدي في الإنسان، حيث يحرص على تعميق الإيمان القلبي المقترن بالعمل الصالح والصادق، ويعتني بتربية الفرد تربية شمولية متكاملة^(٢)، وينظر إلى الطبيعة الإنسانية نظرة إيجابية متفائلة، ويعتبر أن الإنسان خير بطبعه، لكن قد يطرأ عليه الفساد والانحراف فيعيد عن الطريق الصحيح، قال رسول الله ﷺ "كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه"^(٣).

ونشير إلى أن أية محاولة لمكافحة الجريمة والوقاية منها يجب أن تكون مكاملة وداعمة للجهود المبذولة في مختلف المجالات الأخرى، فعلى القائمين على الإرشاد الديني، مثلاً، الاطلاع على الدراسات التي يقوم بها المختصون في علم النفس وعلم الاجتماع والشيء نفسه

(١) المائدة: 33.

(٢) الداهري، صالح: **علم النفس الإرشادي**، ط1، دار وائل للنشر، عمان 2005 م، ص: 17.

(٣) رواه مسلم (97/2)

بالنسبة لهؤلاء المختصين، وبالتالي تكون هذه الجهود متكاملة وشاملة حتى تكون فعالة، وأي إجراء تقوم به أية جهة سواء كانت الأسرة أم المدرسة أم الدولة، ومن شأنه أن يدعم جهود مكافحة ظاهرة الجريمة فهو إجراء وقائي يجب القيام به وتدعيمه.

واستنادا إلى ما سبق، وانطلاقا من أن الشريعة الإسلامية تنهى عن كل ما يؤدي إلى ضياع الفرد، وهدم المجتمع، وعلى رأس ذلك "ظاهرة الجريمة" ولذا فقد أتت بمنهج متكامل لحماية الأفراد والمجتمع من هذه الظاهرة، وسنت تدابير حاسمة لحلها.

وفيما يلي محاولة لعرض هذه التدابير مع إبراز آثارها الإيجابية لحماية المجتمع من الجريمة.

أ- غرس العقائد الإيمانية:

مما هو معلوم أن من أهم عوامل السلوك الإجرامي من وجهة نظر دينية انعدام الوازع الديني أو ضعفه ولذا فإن أول تدبير يستخدمه الإسلام لحماية الأفراد والمجتمع من الجريمة يتمثل في غرس العقائد الإيمانية في النفوس. ونجد أن جميع هذه العقائد قد أجملتها السنة النبوية في حديث جبريل عليه السلام، عندما سأل الرسول ﷺ عن الإيمان فأجاب بقوله: "الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره"⁽¹⁾.

والإيمان بالله يقصد به الاعتراف واليقين بوجود الله تعالى، وأنه رب كل شيء ومليكه، وأنه المستحق للعبادة دون سواه والإيمان بأسمائه الحسنی وصفاته العلی التي تليق بجلاله.

ولما كان الإيمان بالله تعالى يمثل أهمية كبرى في حياة الفرد والجماعة ويلعب دورا كبيرا في الوقاية من الوقوع في الجريمة والانحراف، نجد الإسلام حرص على تثبيت ذلك الأصل في النفوس بشتى الطرق.

وقد بعث الله الرسل من أجل الإيمان به وعبادته وحده لا شريك له، قال الله تعالى: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾⁽²⁾ وقال أيضا: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾⁽³⁾ وقال أيضا: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ سَيِّئًا﴾⁽⁴⁾.

(1) أخرجه البخاري (18/1)

(2) الأعراف: 59.

(3) النحل: 36.

(4) النساء: 36.

هذه الآيات وغيرها تدعو إلى الإقرار بالوحدانية لله تعالى والإقرار بوجوده، والنهي عما يزينه الشيطان من الشرك والفسوق والفساد.

ولأهمية هذا الأساس ثبت أن الرسول ﷺ كان أول ما يدعو الأفراد الراغبين في الدخول في الإسلام، هو الإيمان بالله تعالى.

والإيمان بالملائكة يعني الاعتقاد الجازم بأن لله ملائكة مكرمين عند ربهم، وأنهم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، وأنهم قائمون بوظائفهم التي أمرهم الله بالقيام بها. ومن تلك الوظائف حفظ الإنسان، وقبض روحه، وكتابة أعماله وتوزيع الأرزاق... إلخ لقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفْرِطُونَ﴾⁽¹⁾ وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ۖ كَرَامًا كَثِيرِينَ ۖ يَكْمُونَ مَا نَعْمَلُونَ﴾⁽²⁾ وقوله تعالى: ﴿إِذْ يَتَلَفَّى الثَّمَلَاتِينَ عَنِ اليمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ۚ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾⁽³⁾.

والمراد بالإيمان بالكتب السماوية الاعتقاد والتصديق الجازم بأن لله كتباً أنزلها على رسله لهداية عباده، وإرشادهم وإصلاحهم، وأنه يجب الإيمان بها جملة، سواء علمنا بها، كالصحف الأولى، والتوراة والزبور والإنجيل، والقرآن، أم لم نعلم بها. وهنا يجب الإيمان بالقرآن جملة وتفصيلاً، واتباع ما جاء فيه.

وقد جاء في القرآن الأمر بالإيمان بهذه الكتب، والتنبية إلى عظمتها وأهميتها في آيات كثيرة منها قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ءَالِكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ ءَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ءَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾⁽⁴⁾.

والإيمان بالرسول هو التصديق الجازم بأن لله تعالى رسلاً أرسلهم لإرشاد الناس إلى الخير والصلاح في الدنيا والآخرة، وأنهم مبشرون ومنذرون، والإيمان تفصيلاً بمن ورد ذكرهم في

(1) الأنعام: 61.

(2) الانشقاق: 10 - 12.

(3) ق: 17 - 18.

(4) النساء: 136.

القرآن الكريم، وهم خمس وعشرون بين نبي ورسول، وكذلك الإيمان جملة بأن لله رسلا غيرهم لا يحصي عددهم إلا الله تعالى ولم يذكرهم القرآن الكريم.

وقد ورد في القرآن العديد من الآيات التي توجب الإيمان بجميع الرسل دون تفريق بينهم كقوله تعالى: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾⁽¹⁾.

والإيمان باليوم الآخر يعني التصديق الجازم بأن الله تعالى يبعث الخلق بعد أن يميتهم، وقد اهتم القرآن اهتماما بالغا بتقرير الإيمان بهذا اليوم، فكثيرا ما يربط القرآن الإيمان بهذا اليوم مع الإيمان بالله تعالى كقوله تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾⁽²⁾.

والإيمان بالقضاء والقدر يعني الاعتقاد الجازم بأن كل خير وشر هو بقضاء الله وقدره، وأنه الفعال لما يريد، لا يحصل شيء إلا بإرادته ولا يخرج عن مشيئته، كما يوجب هذا الاعتقاد الرضى والتسليم بما قدره الله تعالى، فهو الحاكم العدل الذي يقدر الأمور لحكم لا يعلمها إلا هو. قال الله تعالى: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَكَ إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا﴾⁽³⁾.

أثر الإيمان في الوقاية من الجريمة:

الإيمان ذو تأثير كبير على حياة الإنسان، إذ يؤثر في سلوكه وطباعه وتفكيره، ويحقق السعادة البشرية والاستقامة والانضباط عن طريق ما يلي:

1- استشعار رقابة الله تعالى فالمؤمن عندما يعتقد أن الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء وأنه يعلم السر وأخفى، وأنه يحصي كل صغيرة وكبيرة، كل هذا يجعله صاحب رقابة على نفسه، فيضبط غرائزه، ويقهر شيطانه، ويحرص في أقواله وأفعاله، على الابتعاد عن أي انحراف، كما أن المراقبة تقوى فيه، عندما يتذكر أن هناك ملائكة ترقب أعماله وترصدها وأنه سوف يجازى بأعماله إن خيرا فخير، وإن شرا فشر، فكثيرا ما يكون

(1) البقرة: 136.

(2) البقرة: 177.

(3) التوبة: 51.

المؤمن بعيدا عن الوقوع في المعاصي والانحرافات لاستشعاره تلك المراقبة الإلهية ولحرصه على دخول الجنة ونجاته من النار.

2- تنمية الدافع إلى العمل الصالح، فالمؤمن كلما ازداد يقينا وثقة بربه قرب منه، فيكون دائم الصلة به، يسعى دوما لرضاه ومحبته ويتبع أوامره ويجتنب نواهيه.

3- الإيمان يزرع في النفس الإنسانية ما تروض به الفطرة وتتميتها، وتقهر به الشهوات، وتعمل على تهذيب الغرائز وترشيدها، وتكييفها وسط الفرد والجماعة وبذلك يستقيم السلوك وينضبط.

4- الإيمان يبعد عن الفرد حالات الاضطراب والتشتت والوسوسة والقلق التي هي من أبرز عوامل الانحراف والجريمة، ويحقق له الراحة النفسية ويمنحه الهدوء والاطمئنان، ويوفر له العيش في أمان مع نفسه ومع الآخرين.

وهذا ما أثبتته دراسات علمية وأبحاث ميدانية، ففي بحث ميداني أجري على عينة من شباب جامعة "الكويت" أثبت فيه أن نسبة (94 %) من أفراد العينة يوافقون على أن الدين يكفل للإنسان الراحة النفسية وأن نسبة (90%) منهم يوافقون كذلك على أن أغلب المشكلات النفسية والاجتماعية ترجع إلى ضعف الوازع الديني في نفوس الأفراد⁽¹⁾، ذلك لأن الدين يساعد الإنسان على التغلب على ما يصادفه من أزمات، ويفتح أمامه الأمل كلما واجهته المشاكل أو أغلق أمامه مسلك من مسالك الحياة.

5- الإيمان باعث على الحياء وموقف للضمير، وهو أصل في الابتعاد عن كل انحراف أو اقتراف أية جريمة، روى أبو هريرة - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال: "الإيمان بضع وسبعون شعبة، والحياء شعبة من الإيمان"⁽²⁾.

II- تشريع العبادات:

العبادة لغة مأخوذة من العبد وهو الإنسان، حرا كان أم مملوكا، وسمي كذلك لأنه مربوب لله عز وجل، وجمع "عبد" أعبد، عبيد، عبد، عبدان.

⁽¹⁾ محمد بن ياسين، روضة: **منهج القرآن في حماية المجتمع من الجريمة**، م س، ج 2، ص 35.

⁽²⁾ رواه البخاري (11/1)

وقد عرف ابن منظور العبادة بأنها الطاعة مع الخضوع ومنه قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ أي طيع طاعة نخضع فيها وتذلل، ويقال: طريق معبد أي مذل⁽¹⁾.

أسبغ الإسلام على جميع أعمال الإنسان صفة العبادة إذا قصد بها وجه الله ومرضاته وعملت على وجهها المشروع وكانت في سبيل تحقيق أهدافها المقصودة المشروعة فالزارع والصانع والتاجر والطبيب والمهندس والعامل والموظف والمعلم والمتعلم وغيرهم من أصحاب الأعمال والحرف تعتبر أعمالهم عبادة إذا قصد بها نفع الناس وإبعاد الضر عنهم والاستغناء عن طلب الآخرين وإعالة الأسرة.

وقد عرف ابن تيمية العبادة بقوله: "هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة"⁽²⁾. وعليه فإن العبادة تشمل كل ما فيه طاعة الله ورسوله، يستوي في ذلك الفرائض والنوافل وأعمال الجوارح واعتقاد القلب، والأخلاق والفضائل والمعاملات. ومنه يمكن تقسيم العبادات⁽³⁾ إلى قسمين هما:

- قسم يشمل جميع أعمال الإنسان المشروعة إذا ابتغى بها صاحبها وجه الله ونفع الناس ودفع الأذى عنهم.

- قسم يشمل العبادة المخصوصة التي شرعت بقصد العبادة المحضة أي إظهار الخضوع لله، وهذا النوع من العبادة هو المعروف والشائع بين الناس وهو المعروف بالشعائر أو الطقوس في علم الأديان المقارنة وعلم الاجتماع.

إن للعبادة المحضة في الإسلام أنواعا متعددة نجدها في القرآن الكريم كما نجد تفصيلها وبيانها في السنة النبوية، ولما كان الجانب التعبدية من صلاة وزكاة وصوم وحج ينطوي على علاقة الفرد بربه كان له العديد من الحكم والفوائد التي لها أثر كبير في سلوك الأفراد وردعهم عن الانحراف والجريمة، وهذا ما سأحاول أن أوضحه في العناصر التالية:

1- الصلاة: الصلاة هي الركن الثاني من أركان الإسلام، وتعتبر عمود الدين وأساسه، وهي التي تفرق بين العبد المؤمن والكافر، وقد فرضها الله على عباده في كل

⁽¹⁾ ابن منظور، جمال الدين: **لسان العرب**، ط1، دار الجيل، بيروت، لبنان، 1988 م، ج 3، ص 664.

⁽²⁾ ابن تيمية، تقي الدين: **الفتاوى الكبرى**، دار الكتب العلمية، بيروت، دت، 361/2.

⁽³⁾ المبارك، محمد: **نظام الإسلام - العقيدة والعبادة**، ط2، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1984 م، ص: 169.

الأديان، فقد ذكر القرآن على لسان إبراهيم عليه السلام، قوله ﴿رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ ⁽¹⁾ وذكر عن إسماعيل عليه السلام ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا﴾ ⁽²⁾، كما ورد على لسان سيدنا موسى عليه السلام: ﴿وَأَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ ⁽³⁾.

إن الصلاة عبادة يومية أساسية في الإسلام وهي في حقيقتها ذكر ودعاء وتلاوة للقرآن وهي وسيلة لتذكير الإنسان بربه.

وتسبق الصلاة بتطهير أطراف الجسد أو الأعضاء البارزة من الإنسان، وهي نفسها أعضاؤه التي يفعل بها الخير أو الشر، تطهيرا بالماء النظيف الطاهر الذي يرمز إلى تطهيرها من الإثم والشر والعدوان، وإذا تعذر التطهير المادي بالماء اكتفى بما يدل عليه من التطهير الرمزي بتراب الأرض النظيف الطاهر أو ما يقوم مقامه.

الصلوات المفروضة في الإسلام خمس صلوات في اليوم والليلة وهي كما يلي: الصبح، الظهر، العصر، المغرب، العشاء.

ويصليها الإنسان منفردا ويحسن أن يصليها في جماعة. وهناك صلاة مفروضة واحدة يلزم أن تؤدي في جماعة وهي صلاة الجمعة التي تحل محل صلاة الظهر يوم الجمعة. ويجانب هذه الصلوات المفروضة على المسلمين جميعا هناك صلاة أخرى تسمى فرض كفاية، أي أن أداءها من بعض المسلمين يعفي الآخرين من القيام بها، وهي صلاة الجنازة، وهناك صلوات التطوع الزائدة على الفرض مثل صلاتي العيدين، صلاة التراويح، صلاة الفجر، وصلاتي الشفع والوتر... الخ.

إن الصلاة التي تتخلل ساعات الليل والنهار تذكر الإنسان بموقعه من الكون وخالقه وتذكره برسائله في هذه الأرض التي استخلفه فيها الله وأوامر ربه التي بلغها رسوله وبالمثل العليا التي رسمها لحياته فهي تزكي أعماله وتطهر نفسه.

(1) إبراهيم: 37.

(2) مريم: 55.

(3) يونس: 87.

إن انصراف الناس إلى الصلاة، خاصة الجماعة، يعني استعلاء الروح واستعلاء المثل العليا على المال والمنصب والجاه والقوة، وفيه معنى التقاء الناس، على اختلاف مستوياتهم الاجتماعية والثقافية، على صعيد العبودية لله⁽¹⁾.

وللصلاة أحكام تفصيلية تذكر في كتب الفقه.

أثر الصلاة في الوقاية من الجريمة:

بين الله سبحانه وتعالى ما يترتب على أداء الصلاة من أثر فعال في السلوك، وأن هناك علاقة كبرى بين الصلاة ومنع الجريمة، قال الله عز وجل: ﴿إِنَّكَ الصَّلَاةُ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾⁽²⁾ فالآية تفيد أن الصلاة تؤدي إلى ترك أمرين خطيرين لهما أثرهما في السلوك وهما الفحشاء والمنكر، والمراد من النهي في هذه الآية أن الصلاة لما تتضمنه من أنواع العبادة، من تكبير وتسبيح وتحميد وقراءة قرآن، وركوع وسجود، كأنها تقول لصاحبها: كيف يليق بك أن تعصي الله عز وجل، وقد أتيت بما يدل على عظمتك وكبريائك، فلا تأت بالفواحش والمنكرات، ولا تعص ربا هو أهل لما أتيت به.

ويمكن أن نجمل ما تؤديه الصلاة من أدوار هامة في تقويم السلوك ومنعه من الجريمة والانحراف فيما يلي:

1- إن فرض الصلوات في اليوم واللييلة خمس مرات يجعل المسلم على صلة دائمة بربه، فيقوى وازعه الديني، الذي هو أحد عوامل الانحراف إذا ضعف أو انعدم، فالذي يؤدي صلاته حق الأداء كثيرا ما تبعد عنه غواية الأهواء والشهوات والتمسك بالدنيا، ويتطهر باطنها وظاهرها، وينهض من غفلته، فيخشى الله في السر والعلانية، وتزكو نفسه وتعلو همته، ويرتفع عن الدنيا، فلا يقدم على ارتكاب أية جريمة خوفا من الله وطاعة له ومحبة فيه.

2- بث الاطمئنان في القلوب، لقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾⁽³⁾. وذكر "الشوكانى" أن المراد من هذه الآية هو أن النفس

(1) المبارك، محمد: نظام الإسلام - العقيدة والعبادة، م س، ص 179.

(2) العنكبوت: 45.

(3) الرعد: 28.

تسكن وتستأنس بما تذكره الألسنة كتلاوة القرآن والتسبيح والتحميد. ولذا كان النبي ﷺ يقول: "يا بلال أقم الصلاة، أرحنا بها"⁽¹⁾ أي أرحنا بالصلاة والنداء إليها.

ووصف ابن القيم مدى تأثير الصلاة في القلوب فذكر أنها تعمل على تفريج القلب وتقويته وشرحه وكشف الغمة عنه، وكذا الأمر في صلاة الحاجة والاستخارة، فهي تسكن ظنون النفس وتطرد شكوكها وتردها ووساوسها، وتذهب بقلق صاحبها وخوفه وهمه وحزنه، وغيرها من الأمور التي تعتبر من عوامل الانحراف والجريمة، ولذا قال ابن القيم "من كانت قرة عينه الصلاة فلا يخشى فقرا أصابه، ولا غنى فاتته، وبذلك تطمئن النفس"⁽²⁾.

ويزداد المرء اطمئنانا عندما يتذكر أن الصلاة تمحو الذنوب السابقة، فقد روى أبو هريرة - رضي الله عنه - أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: "أرايتم لو أن نهرا بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات، هل يبقى من درنه شيء؟ قالوا: لا يبقى من درنه شيء، قال: فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا"⁽³⁾.

إن الصلاة تترك آثارا فكرية ونفسية عديدة في الفرد منها أنها تعمل على ملء فراغه النفسي، هذا الفراغ الذي قد يدفع صاحبه إلى سلوك غير سليم فيقع في الانحراف والجريمة، ولذا أوصى الله تعالى بالصلاة فقال: ﴿وَأَسْعَيْنُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾⁽⁴⁾ فهي الملجأ للمحتاج والراحة للمضطرب والأمان للخائف.

3- إن ما تحدثه الصلاة من لحظات الخشوع له تأثير كبير على النفس فيهبها، وقد بين الله تعالى أن فلاح المؤمن في الدنيا والآخرة يتحقق بالخشوع في الصلاة فقال عز وجل: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ١ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ٢﴾⁽⁵⁾ والخشوع هو السكون والطمأنينة والخضوع والذل⁽⁶⁾، ففي الخشوع تسمو عظمة الله بصاحبها لمراقبة الله له، والشعور بعظمته

⁽¹⁾ رواه أبو داود (296/4)

⁽²⁾ ابن القيم: طريق الحجريتين وباب السعادتين، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، دت، ص 47.

⁽³⁾ رواه البخاري (134/1).

⁽⁴⁾ البقرة: 45.

⁽⁵⁾ المؤمنون: 1 ، 2.

⁽⁶⁾ ابن منظور: لسان العرب، م س، 835/2.

فيستقيم سلوكه بذلك، فإذا استعاذ بالله من الشيطان الرجيم في أول الصلاة علم أن لا ملجأ لاستعاذته إلا الله، وإذا قال: ﴿تِلْكَ يَوْمَ الَّتِي نَقُصُّ التَّكْذِيبَ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ، وعندما يقول: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ نقى الشريك مع الله، وإذا قال: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ نقى الضلالة في حياته، فإذا كرر ذلك الفرد في اليوم سبعة عشر مرة، على الأقل، بخشوع وإخلاص تبرأ من نوازع الشر أو الانحراف.

4- عندما يتوجه المصلي في صلاته لله تعالى يعلن الوجدانية والإخلاص له، وفي هذا التوجه قهر للشيطان، ودفع لوساوسه، التي هي أحد عوامل الجريمة، فلا يكون له على المصلي الموحد سلطان، كما بين ذلك القرآن الكريم في قوله تعالى على لسان إبليس ﴿لَأَغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (٨٢) ﴿لَا عِبَادَ لَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ﴾ (١)، وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا سُلْطَانُ عَلَى الَّذِينَ يَؤُولُونَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ﴾ (٢)، إضافة إلى أن ذكر الاستعاذة كفيل بطرد الشيطان، قال الله تعالى: ﴿وَأَمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (٣). فالصلاة والذكر والأدعية تضيق سبل الشيطان وتصرف غوايته كلما أراد ذلك بالمؤمن، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ (٤).

5- تقوية شبكة العلاقات الاجتماعية بين الأفراد، وهذا ما تحققه صلاة الجماعة والاعتقاد على المساجد، فالتقاء الأفراد في صفوف الصلاة على مبدأ المساواة والتعاون، يتفقد كل منهما الآخر، ويتعرف كل منهما على الآخر، فيحقق ذلك الشعور الجماعي مبدأ الأخوة الحقة، المبنية على التعاون والمحبة، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ (٥) فتتلاشى بذلك بين الناس العداوة والبغضاء والكراهية والحسد، فلا يكيد فرد لآخر، ولا يظلم بعضهم بعضاً، فيكون نتاج ذلك مجتمعاً سوياً، يسوده الأمن والاطمئنان، ولا يعرف للجرائم سبيلاً.

(١) الحجر: 39 - 40.

(٢) النحل: 100.

(٣) الأعراف: 200.

(٤) الأعراف: 201.

(٥) الحجرات: 10.

وإذا كانت الحياة خارج المسجد تشد الناس إليها بحبال قوية من حاجاتهم الدنيوية الملحة، فإن ذلك قد ينسيهم، ولو إلى حين، حاجاتهم الآخروية، ومن هنا تبدو أهمية الصلاة للمسلم إذ بها يحقق حاجاته إلى الرضى والاطمئنان والخشوع والإنابة والتفكير والتأمل وحاجته إلى عبادة الله تعالى.

وإذا كانت الأخوة الإسلامية التي جعلها الإسلام إحدى ركائز المجتمع المسلم، وأوجب على المسلم نحو أخيه الشيء الكثير، وقد تفتقر هذه الأخوة بالتباعد حيناً وبالانشغال بأمور كثيرة أحياناً أخرى، فإن الصلاة في المسجد جماعة تحتم على المسلم أن يلقى أخاه المسلم خمس مرات في اليوم والليلة، يلتقي معه على عبادة الله والوقوف بين يديه⁽¹⁾.

2- الزكاة: الزكاة هي الركن الثالث من أركان الإسلام، ويتأديتها يتم إسلام المرء، وقد كانت مفروضة في الأديان السابقة، فقد أخبر الله تعالى عن الأنبياء السابقين بقوله: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَبِيدِينَ﴾⁽²⁾ وقال عز وجل: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ﴾⁽³⁾.

وقد أكد الله سبحانه وتعالى هذا الركن وفرضيته في القرآن الكريم في (32) اثني وثلاثين موضعاً، ذكر في بعضها أن القيام بأدائها من صفات المؤمنين كقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾⁽⁴⁾، وذكر في بعضها الآخر أنه من أدى الزكاة بصفقتها الشرعية فهو مع زمرة المؤمنين والمحسنين في الجنة فقال سبحانه وتعالى: ﴿هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾⁽⁵⁾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ⁽⁵⁾.

(1) زعيمي، د. مراد: مؤسسات التشئة الاجتماعية، ط1، منشورات جامعة باجي مختار، عنابة، الجزائر، 2002

م، ص: 123.

(2) الأنبياء: 73.

(3) البينة: 05.

(4) المؤمنون: 04.

(5) النمل: 2 - 3.

وقد أوضح النبي ﷺ للرجل الذي أتاه يسأل عن عمل يقربه من الجنة ويباعده عن النار، فقال ﷺ: "تعبد الله ولا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة وتصل الرحم"⁽¹⁾. وقد أعد الله تعالى العقوبة الشديدة في الآخرة لمن امتنع عن أداء الزكاة، فقال عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ يَكْزِبُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُخْمَلُ عَلَيْهِمْ فِي نَارِ جَهَنَّمَ فُتُكُوتٌ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَرَزْتُمْ لَأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْذِبُونَ ﴿٣٥﴾﴾. وقال الله تعالى أيضاً: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا ءَاتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ﴿٣٦﴾﴾.⁽²⁾

كما حرص الإسلام على أن يحيط الزكاة بنظام دقيق يحقق الحكم والأسرار التي شرعت من أجلها بصورة تضمن حق الغني والفقير فحدد شروطها ومقاديرها ومصارفها، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَرَمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ﴾⁽⁴⁾. وبذلك الاهتمام وبهذا التنظيم أصبحت الزكاة من أبرز الأنظمة الاقتصادية التي تمثل دوراً فعالاً في الوقاية من جرائم التعدي على الأموال.

أثر الزكاة في الوقاية من الجريمة:

إن أداء الزكاة بصورتها المشروعة يعمل على مكافحة الجريمة واستقامة السلوك من عدة وجوه نجملها فيما يلي:

1- القضاء على الفقر، أو التقليل منه على الأقل، وهو أحد عوامل الانحراف والجريمة، ويتضح هذا الأثر من خلال حرص الإسلام على أن يستأصل شأفة الفقر، فيشرع إعطاء الفقير والمسكين من زكاة الأموال كفاية العمر لقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه "إذا أعيطتم فأغنوا".

⁽¹⁾ رواه البخاري (109/2)

⁽²⁾ التوبة: 34 - 35.

⁽³⁾ آل عمران: 180.

⁽⁴⁾ التوبة: 60.

2- تقارب الشقة بين الفقير والغني، وتعمل على الحد من احتكار الأموال عند الأغنياء، وبذلك يقضى على دوافع الحقد والضعينة وقد بين الله تعالى هذا المقصد في قوله: ﴿لَا يَكُونُ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ﴾⁽¹⁾.

إن صرف الأموال لمستحقيها فيه من الإحسان الذي يستميل القلوب وينشر الإخاء والمودة، فإذا نال الفقير حقه تولدت الثقة بين الأفراد، وطهرت النفوس من دوافع الشر، وتعمقت لديهم المبادئ الإنسانية، فيتحد المجتمع كالبنيان القوي المتين، وينقى من الصراع الطبقي الذي تولدت منه العديد من الجرائم.

3- تطهير النفس من رذيلة البخل والشح، والبخل هو إمساك المقتنيات عما لا يحق حبسها، ويقابله الجود، وأما الشح فهو كالبخل مع الحرص الشديد على المال، وهذه الرذيلة قد تدفع صاحبها إلى سلوك غير مشروع، وقد حذر الرسول ﷺ منها فقال "واتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم"⁽²⁾.

ومن الواضح أن الشح والبخل عدوان على المجتمع مما يؤدي إلى تصدعه، فإذا أدى الفرد زكاة أمواله تعود البذل والجود والتضحية، وتحررت نفسه من عبودية المال الذليلة، التي تقوده إلى الكثير من الانحرافات.

4- تطهير النفس من الذنوب والآثام، وبذلك تطمئن النفس وتستقر، يقول الله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾⁽³⁾. ومن المعلوم أن الذنوب إذا رانت على القلب صاحبها الاضطرابات النفسية التي هي أحد عوامل الجريمة، فإذا أعطيت الزكاة اطمأن صاحبها لمحو كدر الذنوب، أما الفقير فعندما يجد كفايته، يطهر من بواغ الكره والسخط والتسلط الناشئة من الشعور بالعوز والحرمان، فتطمئن نفسه لشعوره بتحقيق العدالة بين الأفراد وبذلك يقضى على العوامل الإجرامية⁽⁴⁾.

(1) الحشر: 07.

(2) رواه مسلم (4/1996).

(3) التوبة: 103.

(4) محمد بن ياسين، روضة: منهج القرآن في حماية المجتمع من الجريمة، م س، ج 2، ص 62.

3- **الصوم:** الصوم هو الركن الرابع من أركان الإسلام، وكان مفروضاً ومعروفاً في الأديان السابقة، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (١).

إن الصوم هو تخل مؤقت عن شهوات الجسد خلال النهار من قبيل الفجر إلى غروب الشمس لمدة شهر كامل، وهو يعبر عن الخضوع لأحكام الله والتوقف عن الانسياق لشهوات الجسد المشروعة المحللة في الأحوال العادية، فهو خروج عن العادات المألوفة والتزام مؤقت لحياة فيها جوع وعطش وتقشف لتربية النفس وضبطها⁽³⁾.

وقد رغب الله تعالى في الصوم، وبين الأجر العظيم المعد لفاعله، فقال عز وجل: ﴿إِنَّ

(4) الأحزاب: 35.

وقد حذر النبي ﷺ من الفطر في رمضان بغير عذر فقال: "من أفطر يوما في رمضان من غير عذر ولا مرض لم يقضه صيام الدهر وإن صامه"⁽¹⁾.

أثر الصوم في الوقاية من الجريمة:

عندما شرع الله تعالى الصوم بين الحكمة منه فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾⁽²⁾ والتقوى، كما عرفها العلماء، هي حفظ النفس من الإثم والمعصية. وقال ابن حجر العسقلاني في الحكمة من الصوم: "ليكون سببا لاتقاء المعاصي وحائلا بينهم وبينها"⁽³⁾.

ومن هنا تتبين لنا العلاقة واضحة بين الصوم والوقاية من الجريمة، فله آثار كثيرة على السلوك يمكن إجمالها فيما يلي:

1- إن قيام الصوم على حبس النفس عن الشهوات يبرز لنا أكبر أثر من آثاره، وهو كسر الشهوات ومقاومة الانحرافات، وقد أشار إلى ذلك السيوطي حيث ذكر أن معنى قوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ أي لعلكم بالصيام تتقون المعاصي وذلك لأنه يكسر الشهوة التي هي الأساس في كل معصية، ولما للصيام من أثر كبير في تهذيب النفس وقمع الأهواء.

وقد ذكر الإمام أبو حامد الغزالي (ت: 505 هـ) أن جميع المعاصي منشؤها الشهوات والقوى، وكل منها تقويها الأطعمة، فالتقليل منها يضعف كل شهوة وقوة، لأن النفس إذا شبت قويت وجمحت.

وقد بين النبي ﷺ دور الصوم في الوقاية من الجريمة فوجه خطابه للشباب، الذين هم مظنة الشهوة الجنسية فقال: (يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء)⁽⁴⁾،⁽⁵⁾ قال ابن حجر في هذا

⁽¹⁾ رواه البخاري (235/2)

⁽²⁾ البقرة: 183.

⁽³⁾ ابن حجر العسقلاني: فتح الباري شرح صحيح البخاري، ط1، مكتبة الصفا، القاهرة، 2003 م، (8/176).

⁽⁴⁾ الأصل في وجاء أن ترضى أنثيا الفحل رضا شديدا فيذهب شهوة الجماع.

⁽⁵⁾ رواه البخاري (117/6)

الحديث: "شهوة النكاح تابعة لشهوة الأكل، تقوى بقوته وتضعف بضعفه"⁽¹⁾، وبذلك تنهذب الغرائز فتقل نسبة الجرائم الجنسية والاعتداء على الأعراض.

2- إن الصوم يعمل على قهر الشيطان وسد منافذه، وذلك لما فيه من تضيق لمجاريه ومسالكه عن طريق الجوع، وقد روي أن النبي ﷺ قال "إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم"⁽²⁾، فإذا شبع المرء قويت شهواته، وإذا صام سكنت واطمأنت، ومن هنا يكف الفرد عن التمتع بما هو ليس بحلال عليه، وتحفظ جميع جوارحه من الآثام والمعاصي التي تقوده إلى الكثير من الانحرافات، كما أن الصوم يجعل الإنسان صابراً محتسباً، يدفع بالتي هي أحسن، وبذلك يعتاد الصبر على الإساءة أسوة بقول الرسول ﷺ "والصيام جنة، فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب فإن سابه أحد أو قاتله فليقل إني امرؤ صائم"⁽³⁾.

3- كما أن الصوم يمنع صاحبه من اقتراف عوامل المشاحنة والكراهية كقول الزور والغيبة والنميمة، لما رواه أبو هريرة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: "من لم يدع قول الزور والعمل به، فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه"⁽⁴⁾. فالصوم إذن عامل مهم لحفظ الجوارح وتقويم الأخلاق، والقضاء على بواغث الخصام والمقاتلة التي توقعه في الجريمة.

4- غرس خلق المراقبة في الإنسان، فالصائم يدع طعامه وشرابه من أجل مرضاة ربه، لذا يشعر بأن الله رقيب عليه في كل صغيرة وكبيرة، فيقيم تلك الشعيرة على أساس من التقوى التي تحول بينه وبين أي انحراف.

5- تحقيق الصحة النفسية والبدنية التي تطرد معها أسقام النفس والجسد، فالفرح ضرورة لصحة النفس، وهذا ما يكون عليه الصائم فهو يشعر أن خلوفه أطيب عند الله من ريح المسك، وله فرحتان، فرحة إذا أفطر لشعوره بالرضى وإزالة الجوع وأخرى إذا لقي ربه لما

⁽¹⁾ ابن حجر، العسقلاني: **فتح الباري، شرح صحيح البخاري**، م س، (178/8)

⁽²⁾ رواه البخاري (114/8)

⁽³⁾ رواه مسلم (806/2)

⁽⁴⁾ رواه أبو داود (307/2)

سوف يجده من ثواب، وتزداد فرحته واطمئنانه عندما يعلم أن دعوته لا ترد، كما قال رسول الله ﷺ "ثلاثة لا ترد دعوتهم" وذكر منهم "الصائم حتى يفطر"⁽¹⁾.

ويضاف إلى هذا ما امتاز به شهر رمضان من كثرة العبادات التي يكون لها طيب الأثر في نقاء النفس من الذنوب التي كثيرا ما تسبب الاضطرابات النفسية المؤدية إلى الانحرافات.

هذا فضلا عن الفوائد الجسمية الذي ذكرها الأطباء، ومن ذلك أن الصوم يذيب المواد الراسبة في البدن، ويجفف الرطوبات الضارة، ويطهر الأمعاء من التسممات التي تحدثها البطنة ويذيب الشحوم.

ولكثرة تلك الفوائد حرص الإسلام عليه كثيرا فرغب في صوم يوم عرفة، وعاشوراء، والعشر الأوائل من ذي الحجة، وصيام ثلاثة أيام من كل شهر، ويومي الاثنين والخميس.

ومجمل القول إن الصوم داع لتقوى الله، وبذلك تتحقق الصحة النفسية والبدنية والعقلية، وهذا أمر ملموس في الواقع، وما يلجأ إليه اليوم كبار الأطباء في معالجة الأمراض النفسية والصحية بالصوم يبين لنا ما للصوم من أثر واضح في تهذيب الأخلاق وصلاحها والحيلولة دون وقوع الانحراف والجريمة.

4- الحج: الحج هو قصد بيت الله الحرام بمكة للعبادة في وقت معين هو شهر ذي الحجة، على أن يتم الوقوف بعرفة في التاسع من هذا الشهر، وينتهي الحج بالطواف حول بيت الله الحرام بمكة. ويجب الحج مرة واحدة في العمر على القادر عليه حيث الصحة والمال⁽²⁾.

والحج هو الركن الخامس من أركان الإسلام وهو تخلص مؤقت عن الأهل والمال والولد والوطن وهو قصد لأول بيت بني على أساس التوحيد قبل أن يظهر أنبياء بني إسرائيل، وقد بناه إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾⁽³⁾.

(1) رواه ابن ماجه (557/1)

(2) شلبي، د. أحمد: **مقارنة الأديان**، ط11، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1996 م، ج3، ص: 136.

(3) البقرة: 127.

وفي الحج تخل مؤقت عن الزينة المعهودة المباحة في اللباس والهيئة وتكشف مؤقت، ويبدو الناس أيام الحج وكأنهم خرجوا يوم الحشر بأكفانهم.

وأبرز ما في الحج من أعمال ما يلي:

- إعلان حال التقشف بالإحرام أي الامتناع عن الحلاقة والتطيب والزينة المباحة.
- الطواف حول البيت الحرام حين القدوم وحين الإفاضة أي العودة من منى، وهذا الطواف يرمز إلى دوران الناس حول غاية واحدة وهي الله، فالله وحده هو الغاية.
- السعي بين صخرتي الصفا والمروة وهما قريبتان من الكعبة.
- الوقوف في يوم التاسع من ذي الحجة في جبل عرفة للدعاء والابتهال إلى الله وقضاء ليال في منى ورمي حصيات صغيرات بالقرب من منى في أوقات مخصوصة⁽¹⁾.
- ويحمل الحج معنى اجتماعيا رائعا وهاما، فهو مؤتمر عالمي يجتمع الناس فيه من مختلف جنسياتهم وألوانهم على صعيد واحد لعبادة إله واحد.

وشعيرة الحج كانت معروفة في الأديان السابقة، وقد ذكر هذا الله تعالى في قوله: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنَسَكًا لِّذِكْرِهِمْ أَسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ﴾⁽²⁾، وقوله تعالى: ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنَسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنْزِعُ عَنْكَ فِي الْأُمَمِ﴾⁽³⁾ أي أن الله تعالى جعل لكل قوم وأمة مكانا يعتادونه لعبادته وقضاء فرائضه. ولما جاءت بعثة الرسول ﷺ جعل الله تعالى البيت الحرام منسك هذه الأمة، قال الله تعالى: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾⁽⁴⁾.

وقد بين الرسول ﷺ في كثير من الأحاديث منها ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: "من حج فلم يرفث⁽⁵⁾ ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه".⁽⁶⁾ قال ابن حجر أي رجع بغير ذنب، بغفران الذنوب الصغائر والكبائر.

(1) المبارك، محمد: نظام الإسلام - العقيدة والعبادة، م س، ص 181.

(2) الحج: 34.

(3) الحج: 67.

(4) البقرة: 196.

(5) الرفث: الكلام الفاحش.

(6) رواه البخاري (141/2)

أثر الحج في الوقاية من الجريمة:

ذكر الله تعالى بعض المنافع التي تعود على المسلمين من هذه الشعيرة العظيمة، فقال عز وجل مخاطباً سيدنا إبراهيم عليه السلام: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ٧٧ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ ٧٨﴾^(١) والمنافع هذه كما ذكرها المفسرون قد تكون أخروية وقد تكون دنيوية، وهي بدورها تربي الفرد من ناحيتين: الناحية الروحية والناحية الاجتماعية، ولكل من هاتين الناحيتين تأثيرهما في السلوك الذي يمنع من الانحراف والجريمة^(٢). وهذا ما سأحاول توضيحه فيما يلي:

أ- آثار الحج على السلوك من الناحية الروحية: يمكن إجمالها فيما يلي:

1- استمرار الاستقامة والخلق الحسن لما يفرضه الحج من آداب على الحاج، قال الله تعالى: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ الْقَوَى ٧٩﴾^(٣). ومن المعلوم أن الكلام الساقط الفاحش، والتمرد على طاعة الله والفسق، والجدال بين الأشخاص، جميعها بواعث لسلوك غير سليم، فالحاج عندما يلتزم بهذه الأوامر، ويكون حريصاً على أداء المأمورات والواجبات وترك المحظورات والمحرمات، كأن يبدأ حجه برد المظالم، وقضاء الديون، وترك رفاق السوء، وأن يحج من ماله الخاص، كل ذلك يقطع عن الفرد معاصيه ويطهره من غلبة شهواته فيستقيم خلقه، وتخمد دوافع الجريمة لديه.

إن الحاج يتذكر دائماً نص خطبة الرسول ﷺ: "فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا"^(٤) وهي تتضمن النهي عن ثلاث جرائم هي: جريمة الاعتداء على الأنفس وجريمة السرقة وجريمة الاعتداء على الأعراض.

2- إن كل ما يفرضه الحج من التجرد من أمور الدنيا يذكر الحاج باليوم الآخر، حتى إذا وقف يوم عرفة، و أفاض إلى مزدلفة استحضر الحشر وقيام الناس لحسابهم فتكون هذه

(١) الحج: 27 - 28.

(٢) محمد بن ياسين، روضة: منهج القرآن في حماية المجتمع من الجريمة، م س، 77/2.

(٣) البقرة: 197.

(٤) أخرجه البخاري (191/2)

التذكرة عاملا مهما في تصحيح عقيدته، وتطهيرها من شوائب الشرك الذي يدفعه إلى المعاصي والإجرام.

3- صفاء النفس والتخلص من أمراضها، وذلك أن الحاج إذا أدى تلك الفريضة حق أدائها، شعر بأنه رجع كيوم ولدته أمه، طاهرا من الذنوب، وقد فاز برضوان الله تعالى وبذلك يتقوى من أهواء النفس وأمراضها، وتصبح نفسه مطمئنة دائما فينتصر على الشرور والآثام.

ب- آثار الحج على السلوك من الناحية الاجتماعية: آثار الحج الاجتماعية قد أجملها قول سيدنا إبراهيم عليه السلام حين دعا ربه بقوله: ﴿فَجَعَلْ أَفْتِدَاءَ مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنْ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾⁽¹⁾ ومن الآثار والفوائد التي تحققت حسب ذلك النداء ما يلي:

1- اجتماع المسلمين كل سنة شوقا لهذا المكان حيث يجتمع فيه الأسود والأبيض، والغني والفقير، فيطلع بعضهم على حال بعض، ويتشاورون فيما بينهم في أمور دينهم ودنياهم، فيكونون متضامنين معتصمين كالبنيان المرصوص على حد قول الله تعالى: ﴿وَأَعْنِصُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾⁽²⁾، فيحققون بذلك مبدأ الأخوة والمساواة، وتخففي بذلك العصبية والقومية والقبلية والطبقية التي تفرق الصفوف وتؤدي إلى الإفساد في الأرض.

2- إنعاش الجانب الاقتصادي للمسلمين بصفة عامة، وللملكة العربية السعودية خاصة، ولجميع الحجاج والمعتمرين، وذلك بما يعود من الحج على الناس من منافع التجارة وبما يؤديه الحاج من الذبح الذي يتسع به رزق المحتاجين استجابة لقوله تعالى: ﴿فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعَمُوا الْبَاسَ الْفَقِيرَ﴾⁽³⁾ وبذلك تطهر نفس الحاج من رذيلة الشح والبخل، بما يبذله من مال لإنفاقه على المحتاجين، وبما يقدمه من فدية وأضحية.

الخاتمة:

وفي خاتمة هذا البحث نخلص إلى أن أفضل السبل للوقاية من الجريمة هو العامل الديني فهو السد المنيع من شرور الإجرام، والتوعية الدينية تستمد من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، وتقوم على الإقناع لا الإكراه، ذلك لأن الدين يتصل اتصالا وثيقا بالضمير الإنساني

(1) إبراهيم: 37.

(2) آل عمران: 103.

(3) الحج: 28.

وهو لا يعتمد على العقوبات التي يفرضها على الناس، فحسب، بل يعتمد على رادع آخر يمنع الناس من الوقوع في الجرائم والمحرمات، ناتج عن عقيدة مهيمنة على النفس الإنسانية، فالإنسان المؤمن، جوارحه كلها مليئة بعقيدة تتبع منها كل تصرفاته، لأنه مستسلم أول الأمر لله تعالى، ومن ثم فإن الإنسان المسلم إذا وقع في جريمة، لا يخاف من الجزاء الديني بقدر ما يخاف من عذاب الله في الآخرة، لأن هذا الأخير أعظم وأشد من الأول بكثير، وهذا ما يفسر قصصاً ثابتة في التاريخ الإسلامي إذ يأتي جناة إلى الرسول - صلى الله عليه وسلم - أو إلى الخلفاء أو إلى التابعين من بعدهم، ويعترفون بذنوب لم يشهد عليهم بها أحد إلا الله، ويطلبون، وبإلحاح، إقامة الحد عليهم، قصد تطهير النفس والنجاة من عذاب الآخرة.

وهكذا يكون الوازع الديني ذا أثر عظيم على الفرد والمجتمع، ويقلل من جميع صور الإجرام، وفي نظرنا هذا ما نفتقر إليه اليوم لكون القوانين الوضعية مقطوعة ومبتورة، تكتفي فقط بمعالجة الأمور السطحية، وتترك النوازع الأصلية داخل النفس الإنسانية، وهو الأمر الذي يسفر في النهاية عن كثرة الجرائم، وفشل القانون الوضعي في القضاء عليها.

وفوق هذا يقوم الدين الإسلامي على أساس بث روح الأمل وإمكان التوبة بالنسبة للفرد المنحرف أو المجرم، إذ لا يوجد شيء في الدين اسمه اليأس أو القنوط أو الفشل، فهو يعتمد على مبدأ التوبة والتعالي من الذنب يقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَأْسُواْ مِنْ رَّوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْسُ مِنَ رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾⁽¹⁾.

ويقول أيضاً: ﴿قُلْ يَعْبادِي الَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىْ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِنْ رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً﴾⁽²⁾.

قائمة المصادر والمراجع:

♦ القرآن الكريم.

1- التومي، د. محمد: المجتمع الإنساني في القرآن الكريم، ط1، الدار التونسية للنشر، تونس، 1986 م.

2- ابن تيمية، تقي الدين: الفتاوى الكبرى، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.

⁽¹⁾ الفرقان: 70 - 71.

⁽²⁾ يوسف: 87. وروح الله: رحمته وفرجه وتغيبه.

- 3- ابن حجر، العسقلاني: فتح الباري شرح صحيح البخاري، ط1، مكتبة الصفا، القاهرة، 2003 م.
- 4- الداهري، صالح: علم النفس الإرشادي، ط1، دار وائل للنشر، عمان، 2005م.
- 5- رشيد، محمد رضا: تفسير المنار، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1999م.
- 6- رشوان، د. حسين: الدين والمجتمع دراسة في علم الاجتماع الديني، ط1، مركز الإسكندرية للكتاب، مصر، 2004 م.
- 7- الراغب، الأصفهانى: المفردات في غريب القرآن، ط3، دار القلم، دمشق، سوريا، 2002 م.
- 8- زعيمى، د. مراد: مؤسسات التنشئة الاجتماعية، ط1، منشورات باجي مختار، عنابة، الجزائر، 2002 م.
- 9- السيد، سابق: فقه السنة، ط10، دار الفتح العربي، القاهرة، 1993 م.
- 10- شلبي، د. أحمد: مقارنة الأديان، ط11، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1996 م.
- 11- قطب، أ. محمد: الإنسان بين المادية والإسلام، ط7، دار الشروق، بيروت، 1982 م.
- 12- ابن قيم الجوزية: طريق الهجرتين وباب السعادتين، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، د.ت.
- 13- المبارك، محمد: نظام الإسلام - العقيدة والعبادة، ط2، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1984 م.
- 14- محمد بن ياسين، روضة: منهج القرآن في حماية المجتمع من الجريمة، دار النشر بالمركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب، بالرياض، المملكة العربية السعودية، 1413 هـ.
- 15- ابن منظور، جمال الدين: لسان العرب، ط1، دار الجيل، بيروت، لبنان، 1988 م.